

# "قضايا، إلخ"

مع

## المضيف تود ويلكن

موضوع الحلقة: المعمودية

ضيف الحلقة: الدكتور كارل فيكنشر

أستاذ مساعد في كلية اللاهوت، كونكورديا، فورت واين، إنديانا

أكتوبر ٢٢، ٢٠٠٦

ويلكن: مرحبا بكم في برنامجنا الذي يذاع على الانترنت "قضايا، إلخ" ونشكر لكم إصغاءكم.

سننكلم الليلة عن المعمودية. لقد ذكرت المعمودية من دون شك في مواضع عدة من العهد الجديد. ولعل أول شخصية تذكرها معظم الأناجيل وتتعلق بهذا الموضوع هي يوحنا المعمدان. كانت هذه خدمته، كما يذكر الكتاب المقدس: أن يقدم للناس معمودية التوبة وغفران الخطايا. وقد اعتمد يسوع في الروايات المبكرة في معظم الأناجيل، وكانت معموديته حدثاً مهماً. أما في نهاية إنجيل متى، فإن يسوع يوصي تلاميذه بأن يذهبوا إلى جميع الأمم ويتلمذوهم ويعمدوهم بإسم الآب والابن والروح القدس. كذلك نرى أن بولس الرسول يذكر المعمودية في رسائله إلى المسيحيين في العهد الجديد. هذا يثبت أن المعمودية موضوعاً مهماً، فلماذا يختلف عليه المسيحيون كثيراً؟ لذلك سنتكلم عن المعمودية اليوم وضيفنا لهذه الحلقة الدكتور كارل فيكنشر الذي نستضيفه دوماً على برنامجنا هذا ونرحب به ثانية. أهلاً وسهلاً بكم دكتور فيكنشر.

فيكنشر: شكراً لكم، أنا سعيد بالعودة إلى برنامجكم وأؤمن هذا كثيراً.

ويلكن: لندخل مباشرة في الموضوع. هل يخلص الرب الخطاة من خلال المعمودية؟

فيكنشر: القديس بطرس كان واضحاً جداً في رسالته الأولى، الفصل الثالث، حين قال: "الذي مثاله يخلصنا نحن الآن، أي المعمودية." هذا ما ورد في ترجمة سميث فاندريك في سياق الحديث عما جرى في الطوفان وكيف أنقذ الرب نوحاً وعائلته حينها. ثم يقول القديس بطرس أن طوفان المعمودية، أي طوفان نوح، بالفعل كان يرمز إلى المعمودية التي نقوم بها اليوم، لأنها- وبوضوح- تحصل "لا لإزالة أوساخ الجسد، بل لكي تعطينا ضميراً صالحاً من خلال غفران الخطايا. ونحن يكون الرب واضحاً لهذا الحد من خلال ما أوحى به للقديس بولس، يجب علينا أن نأخذ هذا الموضوع بجدية كبيرة. لكن من الواضح أن هذا يؤثر أسئلة عدة، لأننا- نحن المسيحيون- نؤكد مراراً وتكراراً بأننا مخلصون بنعمة المسيح فقط بالإيمان بالمسيح. لذلك يطرح الناس في بعض الأحيان السؤال، "إن كيف يمكننا القول أن المعمودية تخلصنا؟" ولكن، ويا للروعة، فإن المعمودية هي وسيلة، وتسميها وسيلة للنعمة وسراً مقدساً- بواسطتها يأخذ الرب ما فعله المسيح على الصليب ويسبغه بالتحديد على الشخص الذي اعتمد. لذلك، ومن دون شك أو تساؤل، فإن موت يسوع على الصليب هو الذي خلصنا، لكن المعمودية هي الوسيلة التي يستعملها الروح القدس لينعم علينا بغفران الخطايا؛ وبالتالي بالخلاص الأبدي، على الشخص الذي اعتمد. القديس بطرس يقول، "المعمودية تخلصنا" ونحن نوافق على ذلك.

ويلكن: إذن هل يمكن مقارنة المعمودية بوسيلة أقل جدلية منها- سماع البشارة. أنا أفكر بالنص المقدس الذي يعلمنا أن الرب ينجي الخطاة من خلال الكرازة

بالمسيح مصلوباً. أنا أفكر هنا برومية الفصل ١٠: ١٧...

فيكنشر: الإيمان يأتي نتيجة للسمع؛ سماع كلمة المسيح، وهناك مسيحيون سيعجبون لفكرة أن الرب يخلص بالمعمودية، لكن ليس لديهم مشكلة مع الخلاص

بواسطة رسالة المسيح، من خلال الكرازة أو الوعظ.

فيكنشر: نعم، بالطبع، هذا صحيح أيضاً. الكثيرون سمعوا الكرازة بالمسيح؛ الوعظ بموت المسيح على الصليب وقيامته من بين الأموات. الروح القدس يستعمل دوماً كلمة الرب ليخلق الإيمان في قلوب الناس، وهم يحصلون في تلك اللحظة على الخلاص والحياة الأبدية. هذه بالفعل نقطة مقارنة قوية كما وصفت- وهذه بالتأكيد هي القضية- إنها تتعلق بالروح القدس واستعماله لوسائل النعمة، وفي ذلك المجال، الكرازة بكلمة الرب التي تخلق في قلب الإنسان الإيمان بالمسيح، وهذا ما يفعله الروح القدس في المعمودية أيضاً. وكما نعلم، فإن القديس بولس يقول في الفصل الثالث من تيطس بأن المعمودية هي غسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس. حين نولد، نحن نتجدد مرة. ولسوء الحظ، فإن التجديد الذي يأتي أول مرة يتضمن الموروثات كلها التي نتلقاها من خطيئة آدم وحواء. لكن حين يقول القديس بولس أننا نتجدد بالروح، هذا يعني أن إنساناً جديداً ولد من جديد في داخلنا. الإنسان الجديد هو المؤمن بالمسيح. رغم ذلك سيبقى هناك دائماً إنساناً "قديم"، غير مؤمن، في داخل كل واحد منا، إلى أن نذهب إلى السماء. لكن حين غُسلنا بماء التجديد، يقول بولس، أن ماء التجديد هذا يخلق فينا إنساناً جديداً يؤمن بالمسيح. لذلك فإن المقارنة التي ذكرتها جيدة جداً. فمثلاً يستخدم الروح القدس الكرازة بكلمة الرب ليخلق الإيمان في القلب، كذلك يستخدم الروح القدس المعمودية ليخلق الإيمان في القلب. وبالطبع حين يحصل إنسان على ذلك الإيمان؛ حين يعتقد إنسان أن المسيح هو مخلصه، يحصل على غفران الخطايا والحياة الأبدية.

ويلكن: الكثير من المسيحيين لديهم مشكلة مع الماء، لأن المعمودية تتعلق بالماء. أينما وجدناها في الكتاب المقدس هي تعني الغسل بالماء. هل يمنح الماء نعمة

المسيح وعمله على الصليب للإنسان الخاطيء؟

فيكنشر: نعم، لكن فقط حين يستخدم الماء مع كلمة الرب. لا شيء يميز الماء وحده، وهذا سوء فهم يحصل في بعض الأحيان، وهناك خرافة تأتي من الفكرة الخاطئة بأن الكنيسة تستعمل ماء مقدساً للمعمودية أو ماءً مختلفاً تحضره بطريقة أو بأخرى. الحقيقة أن الماء هو مجرد ماء عادي، لكنه حين يستخدم مع كلمة الرب، مثلما يقول مارتن لوتر في التعليم المسيحي، هو بالفعل ماء عادي لكنه الماء المقصود بوصية الرب والمرتببط بكلمته. وهذا يعني أن الرب إختار الماء كوسيلة ليوصل إلينا ما تتضمنه كلمته من قوة ووعد بالخلاص.

ويلكن: لقد قلت مرات عدة أن الرب يستخدم هذه الوسيلة ليسبغ علينا نعمة المسيح الذي عاش حياة صلاح كاملة ومات وقام من بين الأموات من أجل الخطاة.

الرب هو الذي يمنحنا الإيمان وهو الذي يعطينا الإيمان الذي يخلصنا.

فيكنشر: هذا صحيح.

ويلكن: إذن إن أردنا أن نوافق الكتاب المقدس، يجب علينا أن نعتقد أنه من غير المنطقي أن نفكر بأن المعمودية هي عمل إنسان وليست عمل الرب.

فيكتشر: صحيح. في الحقيقة، إن القسيس يقول- حين يعمد شخصاً ما: "أنا أعمدك" ويذكر القسيس إسم الطفل أو الشخص البالغ، ويتابع قائلاً، "باسم الأب والإبن والروح القدس" وهو يسكب الماء ثلاث مرات، ويذكر قبي كل مرة منها أقتنوماً واحداً من الثالوث الأقدس. أنا كقسيس، حين أعمد شخصاً، وقد قمت بالمعمودية بسعادة مرات عدة، أعمد باسم الأب والإبن والروح القدس، ما يعني أنني أنوب بالوكالة فقط عن الثالوث. مثال على ذلك، إن كنت أنوي شراء قطعة أرض في ولاية أريزونا أو مكان آخر، أقوم بتوكيل شخص آخر ليقوم بالمعاملات نيابة عني ويجد الوثائق المطلوبة. وحين يفاوض هذا الوكيل أو يوقع الوثائق،

فهو يفعل ذلك بالنيابة عني وبإسمي وكممثل عني. رغم كل ذلك فإنني أنا الذي أشتري قطعة الأرض وليس الوكيل الذي ينوب عني. وبالطريقة نفسها، فأنا حين أسكب الماء على رأس إنسان، في طقس المعمودية كقسيس، وأذكر كلمة الرب، في الواقع أنني لست أنا من يقوم بالمعمودية بتاتا، بل هو الرب: الأب والإبن والروح القدس. وبالفعل هذا ما يجعل المعمودية عملاً إلهياً، لأنه لا يستطيع أي إنسان أن يخلص إنساناً آخر ويعطيه الحياة الأبدية. أنا لا أستطيع أن أخلص أحداً من ريعتي بأي عمل أقوم به. الرب هو الذي يخلصهم بشكل مدهش. الرب أعطاني الفرصة لأكون وكيلاً عنه، وكى أنوب عنه بوجودي شخصياً. فمتلماً أقوم بالكراسة بكلمة الرب فيقوم الروح القدس بعمله في قلب الإنسان، كذلك حين أعمد شخصاً فإن الرب هو الذي يقوم بالمعمودية. وبما أن الرب هو الذي يخلصنا دائماً، فنحن على يقين بأن المخلص هو الذي يتمم عمل الخلاص فينا حين نتلقى سر المعمودية. ويلكن: حين نقرأ الكتاب المقدس لا نجد أي ذكر لمعمودية الأطفال.

فيكتشر: هذا صحيح، لكنني أعتقد أن الكتاب المقدس في الحقيقة يؤكد على معمودية الأطفال، وعلينا أن نحلل بعض النصوص لنندرك ذلك. النص الأول، وهو الأوضح، نجده في بشارة متى، الإصحاح ٢٨، حين أسس يسوع للمعمودية وقال للتلاميذ: "فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس." يسوع أوصى بالمعمودية لجميع الأمم. وبالطبع هناك من سيقول، "بالطبع، علينا تعميد الناس في الصين وأميركا الشمالية والهند وغيرها. علينا بالفعل أن نعمد الناس من الأمم كلها، لكن علينا أن ننتظر حتى يبلغوا عمراً معيناً." حسناً، حين يقول يسوع "جميع الأمم"، يؤكد هذا أن علينا أن نتلمذ جميع البشر؛ من مختلف المشارب ومختلف الأعمار. إن عبارة "جميع" تشمل الناس كلهم. والأهم من ذلك، هو أن علينا أن ندرك أن كل إنسان، سواءً كان طفلاً أم راشداً، ومهما بلغ من العمر، يحتاج للمعمودية. يتحدث داود في المزمور ٥١ كيف حبلت به أمه بالخطيئة، وكيف كان خاطئاً منذ ولادته، "ها أنذا بالإثم صُورت، وبالخطيئة حبلت بي أُمي." إن داود لا يتحدث هنا عن حبل غير شرعي، أو خطيئة ارتكبتها أمه، بل يقول أنه حين صُور في رحم أمه، وفي خلال فترة حملها كجنين، كان خاطئاً يحتاج إلى المغفرة. وهذا هو قصد الرب الرائع من وراء المعمودية: مغفرة الخطايا التي أتمها يسوع للبشر جميعاً على الصليب. وإن كان الأطفال يحتاجون لمغفرة الخطايا، فعلينا أن نسئح لهم بالفُرصة للحصول عليها. وأود- إن كان هناك مجال- أن أذكر قصة قصيرة تتعلق بحاجة الأطفال إلى مغفرة الخطايا قد حصلت منذ سنوات وأنا أحضر لأطروحة الدكتوراه في المعهد المعمداني الجنوب-غربي للاهوت في فورت وورث من ولاية تكساس. وقد مررت بخبرات كثيرة ممتعة في تلك المؤسسة المعمدانية من خلال الحديث إلى الإخوة المسيحيين الذين كانوا ينتمون إلى المذهب المعمداني. وبالطبع نحن اللوثريين نختلف معهم حول قضية معمودية الأطفال. ففي يوم من الأيام كان أحد الزملاء يقدم بحثاً يتعلق بأمور عدة كان موضوع الإجهاض أحدها. ومن المعلوم أن المجمع المعمداني الجنوبي محافظ جداً ويناهض الإجهاض مثل مجمع ميزوري للكنيسة اللوثرية. وكان زميلنا يدافع أيضاً عن قدسية الحياة في سياق بحثه ذلك. لكن ذلك الزميل أثار نقطة مهمة- على جانب البحث الذي قدمه- وقال: "إذا أردنا أن نلعب دور محامي الشيطان ونقول أننا نعتقد بـ"سن للمحاسبة"، أي سن معين لا يحتاج فيه الأطفال إلى غفران الخطايا، ولا يحاسبون عما يفعلون، فلماذا تقلقنا، نحن المعمدانين، قضية الإجهاض؟" ما كان يرمي إليه زميلنا هو التالي: إن كنا نعتقد أن الجنين لا يحتاج إلى مغفرة الخطايا فلماذا لا نسمح بإجهاضه، فهو سيذهب إلى السماء، وكل شيء سيكون حسناً. زميلنا ذلك لم يكن يؤيد الإجهاض بأي شكل من الأشكال. وقد تحدثت إليه بعد ذلك على حدة وقلت له: "هل تعلم!! أظن أنني رأيت ثغرة في معتقد "سن للمحاسبة" الذي يؤمن به المعمدانين!!" فكانت ردة فعله فقط إبستامة عريضة، وما لبث أن انضم إلينا طلاب آخرون في مرحلة الدكتوراه، وكانوا كلهم معمدانيين ما عداي، وعلقوا قائلين: "نعلم أن الكتاب المقدس لا يدرس سن المحاسبة." فأجبت "حقاً! ظننت أنكم متمسكون بتلك العقيدة." فردوا قائلين: "حسناً، المعمدانين بمعظمهم يظنون أن الكتاب المقدس ينص على ذلك، لكن علماءهم يعرفون أن الكتاب لا يذكر ذلك." فقلت، "حسناً، أين يعتقدون أن سن المحاسبة مذكور في الكتاب المقدس؟" إنهم يظنون أن هذا المعتقد مذكور ضمناً في صموئيل الثاني من الفصل ١٢، حين تاب داود على يدي ناثان، بعد أن وقع في خطيئتنا الزنا والقتل المتعمد، وبعد أن مرض الطفل الذي حبل به سفايحاً. فبعد أن مات الطفل،

يعجب خدم داود من موقفه الذي بدا مرتاحاً جداً، فصرح (داود) قائلاً: "هل أقدر ان ارده بعد. انا زاهب اليه واما هو فلا يرجع الي." فأجبت أنا بالقول: "أنا أفهم تفسيركم للنص، وكلمات داود رائعة، وهي تظهر ثقته بأن الطفل قد ذهب إلى السماء." فرد الطلاب المعمدانين جميعهم... "نعم ولكن هذا هو النص الذي يُستشهد به لإثبات عقيدة سن المحاسبة." فأجبت قائلاً "لعلكم تحملون النص أكثر مما يعنيه." فقالوا، "بالفعل هذا تحميل للنص ما لم يقله مباشرة. الكتاب المقدس لا ينص على سن المحاسبة." حسناً، ما القصد من وراء هذه القصة؟ ما أردت القول بأنه حتى المعمدانين الذين لا يعتقدون بمعمودية الأطفال يدركون أنهم، من وقت تصويرهم في الأرحام، يحتاجون إلى مغفرة الرب. لذلك فإن استخدام وسيلة الرب لمغفرة خطايا الأطفال بواسطة ماء المعمودية المقدسة لشيء رائع وكثير ثمين منحنا الرب إياه. وفي نقاش آخر مع زميل معمداني لي في مرحلة الدكتوراه حول معمودية الأطفال أيضاً، قال ذلك الزميل، "هل تعني بأن أطفالاً لو ماتوا قبل أن يعتمدوا فهم لن يخلصوا؟" فأجبت قائلاً، "لا أعلم بالتحديد، هم قد يكونون قد آمنوا بالمسيح في سن مبكر جداً جداً"، لكنني أعلم بالتأكيد أنه إن توفي أطفالاً، كونهم قد اعتمدوا بعد ولادتهم، فإنهم سيذهبون إلى السماء من دون شك." وهذا يدلنا على أهمية معمودية الأطفال. فالمعمودية للأطفال ليست أمراً أسسه الرب ليربنا، بل لينجي أطفالنا ويؤكد لنا ومن دون شك أن الطفل الذي اعتمد سيذهب في الحال إلى السماء.

ويلكن: تجدر الإشارة إلى أن لدينا مصادر عدة تعالج موضوع المعمودية على موقعنا تحت عنوان "ما الجديد." حضرة القسيس فيكتشر، قبل أن نعود إلى موضوع المعمودية، لماذا يجب على من يرغب بدراسة الخدمة الروحية أن يفكر بالإلتحاق بمعهد كونيورديا للاهوت في فورت واين من ولاية إنديانا؟ فيكتشر: أنا أحب هذا السؤال لأنني أعتقد أنه ليس هناك على وجه الأرض أي مهنة أكثر إثارة من الخدمة في الكنيسة. حين كنت أفكر بالإلتحاق بمعهد اللاهوت لأصبح قسيساً، وكنت قد عملت في مهن أخرى من قبل، وكنت أخذ بعين الإعتبار المواهب التي منحني الرب، وأحاول اختيار العمل الذي أجد متعة عند القيام به، ما كنت أرنو إلى احتراف العمل الأهم بين تلك المهن. وبعد أن مارست مهنة عدة، مثل إدارة الأعمال والعمل في حقل السياسة، أدركت أن العمل الذي أجد المتعة الأكثر فيه هو أي مهنة تخدم الناس. لقد حظيت بفرص كثيرة في حقل الأعمال والسياسة، لكنني كنت دائماً أدرك أن العمل الأهم في خدمة الناس هو

الذي يساعدهم في الحصول على الحياة الأبدية. وكمسيحي ناشط في الإيمان، كنت أوقن أن الخلاص الذي يمنحه المسيح لا يقدر بثمن. ثم فكرت، "حسناً، إن أصبحت قسيساً، وأصبح هذا عملي كدوام كامل، يا إلهي، سوف يُدفع لي راتب لأقوم بذلك أيضاً!" فأدركت أنه لا شيء سيكون أكثر روعة من ذلك. وحين بدأت أبحث في احتمال الإلتحاق بمعهد اللاهوت في فورت واين، في الثمانينات من القرن الماضي، غمرني السرور لأنني وجدت أن الهيئة التعليمية والطلاب - على حد سواء - يدفهم الحماس نفسه لنشر بشارة الإنجيل بين الناس. ومازالت الآن، وأنا واحد من الأساتذة هناك، أرى أن الحماس نفسه ما زال سائداً في فورت واين. هناك محبة حقيقية تجاه الناس وخدمتهم من أجل المسيح بين أعضاء الهيئة التعليمية، إضافة إلى ما يجب علينا الطلاب من شغف بالإنجيل وخدمته. إن كونكوريا في فورت واين أعظم مكان لدراسة أعظم مهنة قد يجعلها الرب متاحة لإنسان.

ويلكن: إن كان أحد ما يفكر بأن يصبح قسيساً، فليصل من أجل ذلك ويأخذ بعين الإعتبار زيارة لحرم معهد اللاهوت كونكوريا في فورت واين من ولاية إنديانا. ويمكنكم أن تجدوا عنوان المعهد والمعلومات اللازمة للإلتصال بكونكوريا على موقعنا على الإنترنت. Issuesetc.org أما فيما يخص حديثنا عن المعمودية، أخبرنا إن كان هناك أي أسباب كتابية لتعميد الأطفال؟

فيكنشر: أعتقد أنه يوجد شواهد كتابية تثبت ذلك. وقد ذكرت في سياق حديثنا أنه لا يوجد نصوص كتابية صريحة ومباشرة تتحدث عن المعمودية الأطفال، لكن هناك أمثلة في سفر أعمال الرسل حيث اعتمدت عائلات بكاملها. أهل بيت كورنيليوس وليديا والسجان الفيلبي في سفر الأعمال. وبالطبع فإن العائلات - في تلك الأيام - كانت أكبر عدداً من عائلاتنا. أنا وزوجتي لدينا ثلاثة أولاد فقط، ونحن الخمسة نشكل أهل البيت. أما لو كنا نحن نعيش في تلك الأيام، لكان أبي وأمي وأشقاؤنا يعيشون معنا، وربما خدم وعبيد أيضاً. لذلك حين يذكر الكتاب أن عائلات بكاملها اعتمدت في ثلاث مواضع، يرجح أن يكون من ضمن هؤلاء أطفال صغار. إن النص لم يذكر الأطفال بالتحديد، لكن نحن نعتقد أن الأطفال كانوا هناك. إضافة لذلك أنا أعتقد أيضاً أن هناك شاهداً كتابياً مهماً جداً يدعم هذا الموقف من المعمودية الأطفال. اليوم كانت القراءة المقررة من الإنجيل في كنيستنا من بشارته مرقس - الفصل العاشر، من العدد ١٢ إلى ١٦، حيث تأتي الأمهات بأولادهن للمسيح. وقد حاول التلاميذ في سياق القصة منع الأطفال من الوصول إلى يسوع. فقال لهم المسيح، "دعوا الأولاد يأتوا إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله. الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله." وهناك أمران نستنتجهم الآن من هذا النص، وهو يعيدنا إلى سفر أعمال الرسل، كما سنرى لاحقاً، ولكن علينا أن ندرك أولاً ما يقوله يسوع عن الأطفال الصغار. فالنص اليوناني يوضح ذلك لأن الكلمة اليونانية المستعملة تعني الصغار جداً، ما يعني حديثي الولادة. وقد قال يسوع أن "لمثل هؤلاء ملكوت الله"، وقد شددت على هذا في عظتي صباح اليوم الأحد. مهما كان عمرنا، يجب أن يكون لنا إيمان مثل هؤلاء الأطفال، ويقول المسيح "من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله." فيسوع يقول بأنه إن لم يكن لدينا إيمان مثل ذلك الذي يخلقه الروح القدس في قلب الأطفال الصغار، فلن ندخل ملكوت الله. عادة، نحن كراشدين نعتقد بأن قدرتنا على التفكير المنطقي، أو مستوانا التعليمي، أو فهمنا يجعلنا مؤهلين أكثر للإيمان بالمسيح. في الواقع، العكس صحيح. أحب دوماً أن أشرح هذا بالقول كيف أن الأب والأم يستطيعان أن يجعلوا أطفالهما يعتقدون بأشياء غريبة. مثال على ذلك أن يقول لهم أن السماء لونها برتقالي، والطفل قد يصدق ذلك. فحين يعمل الروح القدس في قلب طفل عمله، يخلق الرب فيه الإيمان الكامل. رغم ماسلف، الكثير من الناس يترددون في تعميد الأطفال لأنهم لا يعتقدون أن الأطفال يستطيعون الإيمان. ولكن على العكس، الأطفال يمكنهم ذلك بشكل رائع. هذا الأمر الأول الذي نستنتجه هنا.

أما الأمر الثاني، وهو قل ما يُذكر، فهو الرابط بين بشارته مرقس، الفصل العاشر، وسفر الأعمال من الفصل الثاني والذي يمثل سابقة لما ورد لاحقاً حول قصص كورنيليوس وليديا والسجان الفيلبي. تجدر الإشارة إلى أن التلاميذ، وليس يسوع، هم الذين منعوا الأمهات من الوصول إلى المسيح. ولعل بطرس كان أبرز الذين منعوا الأطفال من المسيح حينها لأنه كان كناطق رسمي باسم التلاميذ الإثني عشر، إن صح التعبير، كما كان هو من سرد لمقرس الأحداث التي دونها الأخير من حياة المسيح. ففي سياق تلك القصة، يوبخ يسوع التلاميذ، موضحاً لهم بأنهم لا يفهمون ما يفعلون حين كانوا يمنعون الأطفال من الوصول إلى المسيح. لاشك أن هذا كان حدثاً مهماً انطبع في ذاكرة التلاميذ وشكل تفكيرهم. وهذا ما جعل بطرس يتأكد بأن مرقس سيذكره في بشارته.

ويلكن: كيف يتعلق هذا بالنص من سفر الأعمال الذي كنا نتكلم عنه؟

فيكنشر: في الفصل الثاني من سفر الأعمال، كما نعلم بأن بطرس أعطى عظته الرائعة في يوم الخمسين، حيث ألقى ثلاثة آلاف نفر في القدس بأنهم صلبوا المخلص الذي أقامه الرب من بين الأموات. ويذكر النص أنه في آخر العظة وُخز الناس في قلوبهم، وسألوا إن كان لهم رجاء، وقالوا: "ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة؟" وكانوا بالأساس يظنون أنهم لا يستطيعون القيام بشيء يخلصهم. فأجابهم بطرس: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فقبلوا عطية الروح القدس. لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بعد كل من يدعوه الرب الهنا." (أعمال ٢: ٢٨-٣٩) فمن الواضح أن بطرس ذكر الأطفال في هذا النص، وقال أن الوعد هو لهم ولأولادهم. حسناً، إن كان هناك شخص لا يؤمن بمعمودية الأطفال، فسيقول: "بالتأكيد، الوعد هو لكم الآن، ولأولادكم في الأجيال اللاحقة. لاحقاً، حين يكبر أولادكم، يجب عليهم بالتأكيد أن يعتمدوا أيضاً."

ويلكن: باختصار، لماذا لا تصح قراءة كلمات بطرس على هذا الوجه؟

لأنه بما أن المسيح قد ويخ بطرس في الفصل العاشر من بشارته مرقس لمنعه الأطفال من الوصول إليه، فمن التناقض أن يقول بطرس بعدم المعمودية الأطفال، ومن غير المعقول أن لا يشجع الأمهات على تعميد أطفالهم. فقد كان هناك الآلاف من الناس في يوم الخمسين، والكثير منهم كانوا أطفالاً صغاراً. فلو كان بطرس يعلم أنه لا يجب تعميد الأطفال، لأوضح ذلك في عظته، ولقال: "حين يصبح أطفالكم كباراً، أحضروهم أيضاً للمعمودية." لكننا نرى أن بطرس الذي وُيخ من أجل منعه الأطفال يقول: "الموعد هو لكم ولأولادكم"، وهو لا بد كان يعني أن عليهم أن يحضروا أولادهم في الحال، مثلما دعاهم يسوع في مرقس ١٠، وسيحصلون على بركة المعمودية. ويلكن: دكتور فيكنشر، لقد استشهدت بقول بطرس في سفر الأعمال ٢: ٢٨ حين قال، "توبوا وليعتمد كل واحد منكم." وقلت أن هذا يشمل الأطفال. لكن الكثيرين سيعترضون ويقولون أن الأطفال لا يقرون على التوبة. ماذا هو ردكم على هذا؟ وباختصار لو سمحت!

فيكنشر: حسناً، من يقول أن الأطفال ليس لديهم القدرة على التوبة لا يدرك أهمية الأمر الذي ذكرناه من قبل حين قال يسوع أن مملكة الرب هي لمثل هؤلاء. هذا يعني أن المسيح يقول أن الأطفال يؤمنون، وبالطبع، فإن التوبة والإيمان لا ينفصلان. لا يستطيع إنسان أن يبقى غير تائب وغير نادم - وهذا يقسي القلب مثل الخطيئة. ويكون مؤمناً بالمسيح كمخلص في الوقت نفسه. لذلك حين يقول يسوع في مرقس ١٠ أن إيمان الطفل هو نموذج الإيمان الكامل، هو يقول أن الطفل يتوب أيضاً. نحن في بعض الأحيان نخطئ حين نفكر أن التوبة والإيمان هما أمران يعيما الإنسان بالنطق. هناك افتراض خاطئ بأن الشخص الذي لديه الإيمان يستطيع أن يشرح ماهية الإيمان، وأن الشخص الذي توصل إلى التوبة يستطيع أن يشرح ما حصل في قلبه. الحقيقة أن الروح القدس هو الذي يقوم بمعجزتي التوبة والإيمان بواسطة وسائل النعمة. هذا يحدث في قلب طفل بسهولة أكثر من قلب راشد، لأن الطفل ليس لديه الممانعة التي يعاني منها الشخص الراشد. إذن، بالفعل يستطيع الأطفال التوبة، مثلما أوضح يسوع، وبالفعل يستطيعون الإيمان.

ويلكن: دعونا نأخذ اتصالاً هاتفياً من أحد المستمعين.

سكوت: أنا كواحد من الطائفة المعمدانية التي كان الدكتور فيكنشر يتحدث عنها أساءل، كيف يختلف المعتقد اللوثيري عن معتقد الطائفة الكاثوليكية، فيما يخص المعمودية؟ وكما يبدو لي، فإن الأمر هو مجرد اتباع طقوس!

ويلكن: شكراً سكوت، هذا سؤال عظيم دعوني أسأل الدكتور فيكنشر. أولاً، كيف نفرق بين المعتقد اللوثيري ومعتقد الطائفة الكاثوليكية فيما يخص المعمودية؟ ثانياً، هل المعمودية مجرد طقس كنسي نطبقه فنحصل على الخلاص؟

فيكنشر: سكوت! الشك الآخر من السؤال هو مفتاح الجواب. ربما الفهم الكاثوليكي للمعمودية هو بالفعل طقسي، ويعتقد الكاثوليك أن تطبيق الطقوس يعطيها مفعولها

أوتوماتيكياً. لكن المعمودية بالفعل تخلق الإيمان. هذا يعيدنا الى النص في طيطس الذي ذكرناه في مطلع الحلقة: غسل الميلاد الثاني. نعتقد أن الإيمان ضروري لتلقى بركات الأسرار المقدسة، سواء كانت المعمودية أم العشاء الرباني (المنال). ففي حين تمنحنا المعمودية غفران الخطايا والحياة الأبدية، هي تخلق أيضاً الإيمان في قلب العفل، لأن الروح القدس يخلق شخصاً جديداً. ونود أن نؤكد أن الفرق بين اللوثرية والمعتقد الكاثوليكي هو أن بركات المعمودية في غفران الخطايا تستمر خلال حياتنا الى أن نذهب الى السماء.

وطالما قلبنا ينبض بالحياة، نحن نتذكر ما منحنا الرب من بركة في لحظة معموديتنا، ونستمر في تلقي بركة غفران الخطايا تلك. وعلى فكرة، نحن لا نريد القول أن اللوثرين يضعون المعمودية في مقابل المناولة، على سبيل المثال، التي تستمر أيضاً في منحنا غفران الخطايا طول حياتنا. ونحن يجب أن نتلقى العشاء الرباني دائماً لأن إيماننا يتذبذب ويهتز من وقت لآخر أو يضعف. نحن نحتاج الى الروح القدس دوماً. حين نقوم بالمعمودية أو حين نتناول العشاء الرباني- وذلك ليذكرنا بالبركات التي نحصل عليها في هذين السرين المقدسين. كذلك نحتاج الروح القدس حين نركز بالكلمة أو نسمع الوعظ والإرشاد.

ويلكن: سنأخذ اتصال طوني من باتون روج، قرب لوس أنجلوس من ولاية كاليفورنيا. طوني: شكراً لأخذكم اتصالي. أود أن أروي لكم باختصار بعض الأمور، وأود الحصول على أجوبة لأنني في حيرة من أمري. لقد اعتمدت في كنيسة كاثوليكية وأنا طفل رضيع باسم الأب ولأب والروح القدس، لكنني لم أؤمن بالمسيح مخلصاً حتى عمر ٣١. أنا الآن عضو في كنيسة مشيخية، كنيسة الولايات المتحدة المشيخية، ونحن نؤمن بالمعمودية. أنا أشعر الآن بتوتر بعض الشيء، وأود أن أعرف الجواب على السؤال التالي- وربما هو سؤال المتصل السابق أيضاً- ماذا يحصل حين يعتمد شخص- أعني أن يخضع للطقس نفسه، ولا يقبل المسيح، ولا يتلقى هدية المسيح المجانية للخلاص؟ أود أن أقفل السماعه وأسمع جوابكم!

ويلكن: شكراً طوني. هذا سؤال آخر جيد جداً. ماذا حصل لطوني يوم اعتمد يا دكتور فيكنشر؟ فيكنشر: هذا سؤال عظيم يا طوني، وأعتقد أنك- وفقاً لما سمعته من صوتك- أولاً، لست متوتراً أو عصبياً وتبدو لي بحالة جيدة جداً. ثانياً، يجب عليك أن لا تضطرب من أجل خلاصك الحديث على الهواء شيء قد يوتر الأعصاب، لكن اليقين بالخلاص الذي نحصل عليه في المعمودية قد أتمم. هذا يعني التالي يا طوني: أولاً، رغم أنك تحاول استعادة ما حصل في المعمودية حين كنت طفلاً، إلا أنك لا تروي القصة بكاملها. إن كنت قد اعتمدت في كنيسة كاثوليكية- وهي معمودية مسيحية صحيحة بالتأكيد- نحن وثقون أن الروح القدس قد خلق فيك- كطفل- إيماناً بيسوع المسيح يعطيك الخلاص. لسوء الحظ، رغم أن المرء قد يعتمد ويحصل على إيمان حي وحقيقي في طفولته، إلا أن إيمانه قد يموت خلال السنوات. إن وسائل النعمة، والتذكير بمعموديتنا عن طريق الكرازة بالكلمة والأرشاد، وتناول العشاء الرباني تبقى إيماننا حياً وقوياً. لكن إن ابتعدنا، لسبب أو لآخر عن وسائل النعمة، قد نخسر ذلك الإيمان. لذلك، وفي سن الـ ٣١، يمكن أن نعود الى الإيمان من خلال الكرازة بالكلمة. إن الشيء المدهش يا طوني أن المعمودية التي تلقيتها وأنت طفل رضيع ما زالت سارية المفعول، وأنت حين تتذكر الآن ما أعطي لك حينها، تدرك مرة ثانية ومن جديد أن المسيح هو مخلصك، وتستمر بالتمسك بذاك اليوم من تاريخ حياتك، منذ ٣١ عاماً، أو ربما لغيرك من الناس أقل أو أكثر عدد من السنين. أن في ذلك اليوم الذي اعتمدت فيه، أعطاك الروح القدس الحياة الأبدية في السماء. والآن، وقد عدت الى الإيمان، يمكنك أن تستمر في الإيمان وتتلقى البركات التي هي كانت في الأصل ملكاً لك منذ ذلك اليوم. أنا أتصحب بالتمسك بذاك التاريخ، يوم اعتمدت، حين أعطاك الرب الحياة الأبدية. وبما أنك تؤمن الآن، فإنك تحصل على بركات المعمودية الرائعة من جديد.

ويلكن: إتصلوا بنا هاتفياً إن كنتم تريدون الحصول على نسخة مجانية من النشرة المقبلة من مجلة "قضايا، إلخ"، أو إن كنتم تريدون الإنضمام إلى برنامج المانحين الشهري أو السنوي، أو للإنضمام الى نادي الإصلاح الديني. أما إن كنتم تريدون مراسلتنا، فاكتبوا على العنوان البريدي التالي:

Lutheran Public Radio  
P.O. Box 912  
Collinsville, IL 62234

إن الراحة التي يمنحنا إياها الرب في المعمودية، هي الراحة نفسها التي يحصل عليها كل مسيحي في حياة المسيح وعمله الكامل على الصليب وموته وقيامته. هنا تكمن الراحة الحقيقية في المعمودية. إنها ببساطة وسيلة يخلصنا الرب بواسطتها؛ نحن اليائسون والضعفاء والخاطئون الذين قام المسيح بكل شيء من أجلهم. الراحة الحقيقية في المعمودية هي أن الماء حين يرتبط بكلمة الرب يصلنا بيسوع ويلبنا ويغطينا بالمسيح. وهذا هو الخلاص الأكيد والحقيقي الذي يأتي من خلال المعمودية في مخلصنا يسوع المسيح الذي قام من بين الأموات.

أنا تود ويلكن. هذه قضايا، إلخ.

الرجاء إرسال تعليقاتكم الى العنوان الإلكتروني التالي:  
talkback@issnesec.org  
أو إتصلوا بالرقم الهاتفي 618223 8382